

أضواء البيان

@ 443 @ .

وهذا يدل على أنهم إنما اتفقوا لأن قلوب بعضهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان ، فتشابهت مقالاتهم للرسول لأجل تشابه قلوبهم . .

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة البقرة : { كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ } . قوله تعالى : { فَتَوَلَّوْا عَنَّهُمْ } فَمَّا أَنتَ بِمَلُومٍ } . نفيه جل وعلا في هذه الآية الكريمة للوم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، يدل على أنه أدى الأمانة ونصح للأمة . .

وقد أوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ دِينَكُمْ } وَأَتَمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } . وقوله تعالى : { فَإِنَّمَا أَغْوَيْنَا الْغَيْبَ } وَاللَّيْلِ نَسِيبُ } ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة معلومة . قوله تعالى : { وَذَكَرُوا فَآئِنَّا الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } . قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك ، أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يجعل الله شيئاً لحكم متعددة ، فيذكر بعض حكمه في بعض المواضع ، فإننا نذكر بقية حكمه ، والآيات الدالة عليها ، وقد قدمنا أمثلة ذلك . .

ومن ذلك القبيل هذه الآية الكريمة ، فإنها تضمنت واحدة من حكم التذكير وهي رجاء انتفاع المذكر به ، لأن تعالى قال هنا : { وَذَكَرُوا } ، ورتب عليه قوله : { فَآئِنَّا الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } . .

ومن حكم ذلك أيضاً خروج المذكر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله { قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكَ } وَاللَّيْلِ نَسِيبُ } . .

ومن حكم ذلك أيضاً النيابة عن الرسول في إقامة حجة الله على خلقه في أرضه لأن الله تعالى يقول { رَسُولًا مِّنْ عِندِ رَبِّكَ وَمُنذِرِينَ } وَمُنذِرِينَ لِّلْأُولَىٰ بِكُفْرِهِمْ لَعَلَّهم يَرْجَعُونَ } . .